**المحاضرة الحادية عشر:**

**فلسفة القديس أنسلم.**

 **1 - حياة مؤلفات القديس أنسلم:**

ولد القديس أنسلم Saint Anselme de Canterbéry في القرن الحادي عشر سنة 1033م بإيطاليا بمدينة أوست Aoste بـ التي تقع على الحدود الفرنسية الايطالية، أمه كانت قديسة سليسلة عائلة ثرية بأوست، ومن أب أصله من مدينة لومبرديا Lombardieكان يشتغل في السلك العسكري. فقد أمه وهو في صغره، فأوكلت مهمة تربيته إلى أبيه الذي كان معارضا فكرة دخوله للرهبنة. فاستسلم لحياة النزوات الشهوات، لكن ذلك لم يدم طويلا حيث رحل في سن الرابعة والعشرون تاركا منزل أبيه قاصدا مدينة بورغونيا Borgoneبفرنسا، ثم باريس ثم نورمنديا التي كان بها دير سان ميشال الذي كان يوجد فيه أحد مواطنيه الايطاليين الذين كانوا يتمتعون بشهرة كبيرة هو القسيس لانفران Lanfranc الذي كان يشتغل في دير بيك l’Abbaye de Bec. تررد لانفران كثيرا في قبول طلب أنسلم بالانضمام إلى سلك الرهبنة بعد أن عرف أن أباه كانا رافضا لذلك، ولكن بعد موت أبيه لم يعد هناك عارض أمامه لتحقيق حلمه بالالتحاق بسلك الرهبنة.

وفي دير بيك تلقى تعليما منتظما، وبعد نجاحه في مسار دراسته تقلد في سنة 1060 لباس الرهبنة، وفي سنة 1063 أصبح رئيس الدير خلفا لـمواطنه لانفران الذي انتقل إلى مدينة سانت ايستيان، وبقي في ذلك المنصب لمدة 14 سنة. في عام 1078 أصبح قسيسا، وفي سنة 1093 عين اسقفا في مدينة كونتونبوري بانجلترا وبقي في ذلك المنصب إلى أن وافته المنية سنة 1109.

من المؤلفات المهمة التي كتبها أنسلم نذكر: "مونولوجيون Monologiom" (مناجاة النفس) الذي كتبه نزولا عند طلب بعض رهبان الذين انبهروا بفكر الفلسفي وارادوا البرهنة على وجود الله وماهيته بطريقة عقلية دون الاعتماد على الكتب المقدسة فكان كتاب مونولوجيون استجابة لذلك وقد حقق هذا الكتاب شهرة واسعة في أوساط المثقفين الذين اصبحوا يتداولونه بنوع من الشغف، ولكن أنسلم لم يتقف عند حدود هذا الكتاب بل حاول مواصلة الطريق في البرهنة على وجود الله بشكل أكثر اقناعا فكان كتابه "بروسلوجيون Proslogiom" (العظة) الذي كتبه في سنة 1078 تجسيدا لذلك حيث صاغ فيه برهناه الذي عرف برهان أنسلم على وجود الله، وفيما بعد مع كانط أصبح يعرف بالبرهان الانطولوجي على وجود الله، وكرد على مقال الرهب الذي نتقد برهانه الأنطولوجي كتب مقالا تقريضا موضحا ومدافعا في نفس الوقت عن برهانه، كما كتب أيضا مؤلفات أخرى نذكر منها: "في الحقيقة"، "في النحو"، وكنتيجة لانخراطه في الصراع الذي أثاره روشلان حول مشكلة الكليات التي دارت بين الإسميين والواقعيين كتب بعض المؤلفات اليت لها علاقة مباشرة مع مشكلة الكليات مثل مسألة التثليث والتجسيد.

**2 - في علاقة العقل بالإيمان:**

في عصر القديس أنسلم ظهر صراع محتدم بين الجدليين وضد الجدليين أو اللاهوتيين حول علاقة العقل بالإيمان والأولية كل واحد على الآخر، فالجدليون وهم يؤكدون على العقل فإنهم أنكروا بعض الحقائق الإيمانية التي لا يمكن أن تتوافق مع النظر العقلي، وأما اللاهوتيون وهم يؤكدون على الايمان فإنهم سدوا طريق الجدل والنظر العقلي. لم يكن موقف أنسلم يميل إلى هؤلاء على حساب هؤلاء وإنما أراد أن يقدم موقفا يجمع بين الطرفين بحيث يكون العقل والإيمان متكاملين وليسا متضادين، فهو ضد الجدليين لأن يعتبر أن الانطلاقة تكون أولا من الايمان، لأن الإنسان يؤمن ثم تأتي مرحلة الفهم والتعقل، وضد اللاهوتيين لأنه يعتبر أن تعقل الايمان أمر ضروري ومهم في المسيحية. لهذا لم ينخرط في الجدالات التي تجعل العقل في صدام مع الإيمان وإنما أراد أن يسلك طريقا يحقق التكامل بينهما فإذا كان ينطلق من الايمان فإنه يرى أنه من المهم أيضا أن نفهم لماذا نؤمن. إن المنهج الذي يضعه أنسلم في بحثه عن الحقيقة والذي يحدد علاقة العقل بالإيمان عنده هو أولا: التصديق بالحقائق الايمانية حتى قبل اخضاعها للنظر العقلي، ثم تأتي في المرحلة الثانية عملية فهم وتعقل ما نؤمن به، من هنا جاء قوله **"لا أحاول أن أعقل لكي أومن، بل أومن لكي أعقل، لأني أومن أيضا أني لا أستطيع أن أعقل إن لم أومن"** فدون الايمان لا يستطيع الإنسان أن يفهم الحقائق التي يقدمها لنا الوحي فالإيمان شرط أساسي للتعقل كما أن التعقل مكمل للإيمان لأن فهمنا للحقائق الإيمانية لا ينبغي أن يتوقف عما قاله آباء الكنيسة لأنهم لم يقولوا كل شيء عن هذه الحقائق، لأن الحقائق الإيمانية تتجاوز قدراتهم، لهذا فتعقل الايمان والسير في هذا الطريق هو مواصلة لمسار اكتشاف أنوار الحقائق الإلهية، ومنه التقرب أكثر فأكثر إلى الله. لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هو ماهي حدود العقل في تأويل وتعقل الإيمان؟ مبدئيا لا يؤمن أنسلم بوجود حدود للعقل فهو يعتبر أنه لا توجد أشياء لا يمكن فهمها في الايمان، حتى مسألتي الأقانيم الثلاثة وتجسد المسيح التي اعتقد فيما بعد توما الإكويني أنهما من اختصاص اللاهوت وتتجاوزان حدود العقل، اعتقد أنسلم أنه يمكن فهمهما عقليا.

يوضح لنا اميل برييه أن الحديث عن عقلنة الايمان التي دعا إليها أنسلم لا ينبغي فهمها بالمعنى الحديث وإنما قوله بإمكانية فهم الحقائق الايمانية هو رد على الذين يتهمون المسحية بأنها منافية للعقل، والقول بإمكانية فهم العقل للإيمان ليس مدحا للعقل وإيمانا باستقلاليته كما هو الأمر في العصر الحديث وإنما من أجل هداية الكفار إلى المسيحية وتحقيق الخلاص لهم.

 **3- براهين وجود الله عند القديس أنسلم:**

الجزء المهم في فلسفة أنسلم والتي حققت له شهرة وجعلت الدارسون يعودون إليها هي براهينه على وجود الله. فالذي يذكر أنسلم يتبادر مباشر إلى الذهن برهانه الانطولوجي على وجود الله. سنحاول أن نتطرق إلى هذا البرهان الذي ذكره في كتابه بروسلوجيون ولكن قبل ذلك سنحاول عرض البراهين التي ذكرها من قبل في كتابه مونولوجيون حول وجود الله.

**أ-** **براهين وجود الله في كتاب مونولوجيون:**

قدم أنسلم ثلاثة براهين على وجود الله في كتابه مونولوجيون، هذه البراهين مستوحات من المنهج الأوغسطيني في البرهنة. يستنتج اتيان جيلسون أن هذه البراهين الثلاث تؤمن بمبدأين مهمين هما:

1. الأول: أن الأشياء متفاوتة في الكمال.
2. الثاني: التفاوت في الكمال يعود إلى الكمال المطلق ومدى المشاركة فيه، وهذان المبدآن ينطبقان على جميع الأشياء العقلية والحسية. وهذان المبدأ مهمان لفهم تركيبة هذه البراهين.

**البرهان الأول:** قائم على التفاوت في الأشياء فعلى سبيل المثال نجد أن الخير موجود في العديد من السلوكات والأشياء وهذا الخير متفاوت من سلوك إلى آخر ومن كائن إلى آخر، فبالمعاينة الحسية والتأمل العقلي ندرك أن هناك العديد من الأشياء الخيرة وأن هذا خير له علته. ويمكن التساؤل حول ما إذا كان كل خير من الخيرات له علته الخاصة به أم أن كل الأشياء الخيرة لها علة واحدة. ومن المؤكد أنه إذا اختلفت الأشياء في موضوع واحد (الخير مثلا) فإن علتها واحدة وهو الخير المطلق، كذلك الأمر إذا تعلق بالعدالة. إن الاختلاف والتفاوت في الخير تبعا لذلك يعود إلى مدى المشاركة أو القرب إلى الخير المطلق وكلما كنا أكثر قربا إلى الخير المطلق كلما كان الخير أعظم والعكس صحيح. كل الأمور الخيرة مصدر خيرها من غيرها إلا الخير المطلق علته هي ذاته، ومن المؤكد أن الذي يستمد خيره من ذاته أعلى شرفا وأكمل من الذي يستمد خيره من غيره. هذا الذي يستمد خيره من ذاته يتعالى على كل الكائنات التي تستمد خيرها من غيرها. هناك أذن خير مطلق يستمد خيره من ذاته، هذا الخير المطلق هو ذاته الكائن الأعظم المتمثل في الله.

**البرهان الثاني**: يقوم على فكرة الوجود فكل موجود له علة وجوده، وبما أن هناك عدة موجودات فالسؤال المطروح هو: هل كل موجود له علته الخاصة به أم أن كل الموجودات تستمد وجودها من علة واحدة؟ في هذه الحالة إما أن الكون له عدة علل أو يعود إلى علة واحدة، وإما تكون هذه العلل نابعة من ذاتها وإما مصدرها خارجي، فإذا كانت تعود كلها إلى علة واحدة فإن الكون هو نتيجة علة وحيدة، وإذا كانت هذه العلل نتيجة ذاتها فإنه على الأقل تتقاسم شيئا واحد، على الرغم من اختلافها وتعددها، وهو أنها نابعة من ذاتها. وهناك احتمال ثالث وهو أنها نتيجة علل متبادلة بحيث تكون علة ومولولا في نفس الوقت، وهذا منطقيا غير مقبول لأن الذي يستمد وجوده من غيره لا يستطيع أن يمنح الوجود لغيره فلو كان قادرا على منح الوجود لغيره لمنحه لنفسه أولا، إن الاحتمال الذي يمكن قبوله ويتوافق مع العقل هو أن كل الكائنات تستمد وجودها من علة واحدة وهذه العلة ليست لها علة وإنما هي على ذاتها وهذه العلة التي ليس لها علة هي الله.

**البرهان الثالث:** هذا البرهان أيضا بإمكانه أن بقودنا إلى اثبات وجود الله حيث يقوم على فكرة تباين وتفاوت نسبة الكمال لدى الكائنات، فالذي يتأمل في الموجودات يجد أنها متفاوتة في الكمال، فالحصان أكمل من الشجرة والانسان أكمل من الحصان وهكذا. فالذي ينكر أن هناك تفاوت بين الكائنات أو أن الحصان أفضل من الإنسان أو مساو له فإن شخص مشكوك حتما في إنسانيته وعقله. وبعد اثبات أن هناك تفوت بين الكائنات في الكمال يعترضنا تساءل آخر هل درجات الكمال متناهية أم لا متناهية؟ فإذا كانت غير متناهية فهذا يعني أنه لا يوجد كائن كامل كمالا مطلقا لأن العدد يؤول إلى مالا نهاية وهذا غير ممكن منطقيا، وإما أن الكائنات متناهية العدد ومنه هناك كمال يتعالى على كل الكمالات، فإذا قلنا بأن هناك عدة كائنات كاملة كمالا مطلقا فإنه على الأقل تشترك في شيء واحد وهو أنها تتمتع بكمال مطلق، فإذا كان الذي يجمعها هو الماهية أي لها ماهية واحدة، فإنها في الحقيقة ليست متعددة وإنما واحدة لأنها تتمتع بهوية واحدة، وهذا يعني أنه هناك كمال واحد، وإذا كان الذي يجمعها هو شيء آخر غير الماهية فإن هذا يعني أن هناك طبيعة أخرى أكثر كمالا من الجميع لأنها تحتوي على شيء ناقص في الكمالات الأخرى. وفي كلا الاحتمالين يقودان إلى اثبات وجود كمال مطلق وهذا الكمال المطلق هو الله.

البراهين التي قدمها القديس أنسلم في كتابه مونولوجيون هي براهين مهمة وقوية ولكن كانت معقدة لأنها مصاغة وفق سلسلة من الاستدلالات التي تتطلب عقلا متمكنا ليستوعبها. وعلى الرغم من أنها نالت انتباه واعجاب معاصريه إلا أنه كان مدركا أن هذه البراهين مقعدة وليست موجهة للعامة وإنما للنخبة، لهذا فكر في ايجاد طريقة للبرهنة على وجود الله بحيث يكون هذا البرهان مختصرا وواضحا وسهلا. وهذا ما دفعه في إلى ابتكار دليل على وجود الله أكثر بساطة وأكثر قوية واقناعا، فكان كتابه بروسلوجيون استجابة لذلك. وهذا البرهان سيعرف فيما بعد، منذ كانط، بالبرهان الأنطولوجي على وجود الله.

**ب- بروسلوجيون: البرهان الأنطولوجي على وجود الله:**

لقد أشرنا إلى أن السبب الذي جعل القديس أنسلم يعود إلى موضوع البرهنة على وجود الله بعد أن تطرق إليها في كتابه مونولوجيون هو أنه كان يفكر في صياغة برهان مختلف شكلا ومضمونا عن البراهين التي قدمها من قبل وحتى المختلفة عن البراهين المتوارثة منذ عصر الآباء، أو لنقل منذ الفلسفة اليونانية.

في الفصل الأول من كتابه بروسلوجيون أشار القديس أنسلم إلى البرهنة على وجود الله هدفه الرد على الجاهلين الجاحدين الكافرين الذي يشككون في وجود الله. هذا التشكيك يرجع سببه إلى تأثير الخطيئة الأولى التي شوهة صورة الله في قلوب وعقول الجاهلين. فالله لما خلق الناس بث فيهم صورته حتى يتذكرونه ولكن بسبب الخطيئة تشوهت صورة الله في أذهانهم فلم يعودوا قادرين على تذكرها بالشكل الصحيح. ومن أجل استعادة هذه الصورة كما وهبها الله فينا ينبغي الانطلاق من الإيمان، من الفكرة الفطرية التي منحها الله عن ذاتها لكل إنسان. ثم بعد ذلك يحاول اثبات هذه الفكرة عقليا. هذه الانطلاقة من الإيمان إلى العقل تتوافق تماما مع منهج القديس أنسلم الذي يعتبر أن الايمان سابق على التعقل حيث يقول في كتابه بروسلوجيون:" ربي، لا أستطيع أن أنفذ إلى إليك في علاك لأني لا أستطيع أن أصل إلى ذلك بعقلي، ولكنني أود أن أنفذ إلى حقيقتك التي يعتقدها قلبي ويحبها. **لا أحاول أن أعقل لكي أومن، بل أومن لكي أعقل، لأني أومن أيضا أني لا أستطيع أن أعقل إن لم أومن**" إذا كان دور العقل هو عقلنة الإيمان وجعله ممكنا فإن دور الإيمان هو اعادة إحياء صورة الله في أنفسنا قبل أن تشوهها الخطيئة، وبعد ذلك يأتي دور العقل في البرهنة عليها. لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هو: ماهي الصورة غير المشوهة التي يقدمها الإيمان عن الله؟ هذه الصورة كما يتصورها أنسلم هي: أنه الكائن الذي لا يمكن أن نتصور أكبر منه.

سنورد نص البرهان كما هو مذكور في كتابه بروسلوجيون ثم نأتي بعد ذلك على تحليله ونقده. صاغ أنسلم برهانه على النحو التالي:" إلهي، أنت الذي يمنح القدرة على عقلنة الإيمان امنحني القدرة، بالشكل الذي تقدره أنه مناسب لي، على تعقل وجودك، كما نؤمن به، وأنك موجود على الصورة التي نؤمن أنك كذلك. قطعا، إننا نؤمن بأنك شيء لا يمكن تصور أعظم منه. فهل مثل هذه الطبيعة لا وجود لها فقط لأن جاهلا قال في قلبه أن "الله غير موجود"؟ غير أن هذا الجاهل، إذ يسمع هذا الكلام الذي أردده: "شيء لا يمكن تصور أعظم منه"، يفهم على أية حال ما يسمعه: وما يفهمه موجود في عقله، حتى ولو كان لا يفهم أن هذا الشيء موجود. لأن الفنان حين يتصور في فكره، أولا، اللوحة التي سيرسمها، فإنها موجودة دون شك في ذهنه، لكن لا يتصور أن اللوحة التي لم يرسمها بعد موجودة، وما أن يرسمها، حينها لا يدرك فقط أنها في ذهنه، وإنما أيضا يدرك أن ما رسمه موجود. وبالمقابل يمكن أن تقنع الجاهل، بوجود، على الأقل في العقل، "شيء لا يمكن تصور أعظم منه". لأنه حين يسمع هذا الكلام يفهم، وأن كل ما يتصوره موجود في العقل. ولكن من المؤكد أن "الشي الذي لا يكمن تصور أعظم منه" لا يمكن أن يكون موجود فقط في العقل. لأنه إذا كان موجودا في العقل وحسب فإنه يمكن أن يكون موجودا أيضا في الواقع ما هو أعظم منه. فإذا كان الشيء الذي لا يمكن تصور أعظم منه موجود فقط في العقل، فإن هذا الشيء الذي لا يمكن أن نتصور أعظم منه، يمكن أن نتصور أعظم منه. إلا أن هذه النتيجة، بالتأكيد، غير ممكنة. وعليه إذن يوجد، دون شك، شيء لا يمكن أن نتصور أعظم منه، في العقل وفي الواقع."

في بداية البرهان يطلب أنسلم من الله أن يكشف له عن وجوده كما منحته لنا الحقائق الإيمانية، الصورة التي لم تشوهها الخطيئة وهذه الصورة النقية هي: "نؤمن بأنك شيء لا يمكن تصور أعظم منه". هذه الفكرة حول الله واضحة في ذاتها، حتى الجاهل الذي ينكر وجود الله فإن هذه الفكرة موجودة في ذهنه ويعي معناها ويفهمها. تماما كما يفهم أي إنسان أن الرسام قبل أن يرسم لوحة ما فإن هذه اللوحة موجودة أولا في عقله كتصور أو كفكرة، وحين يرسمها تصبح هذه الفكرة أو هذا التصور موجودا في الواقع. ولكن هل تصور الله باعتباره "الكائن الذي لا يمكن تصور أعظم منه" يملك وجودا في العقل فقط ولا يمكن أن يوجد في الواقع؟ ونحن نعلم أن الجاهل يؤمن أن هذا التصور موجود في الذهن وما ينكره هو أن يكون موجودا في الواقع أي أنه يؤمن أن الله موجود فقط كفكرة وليس كواقع. هنا يرد أنسلم أن تصور: "الكائن الذي لا يمكن ن نتصور أعظم منه" لا يوجد فقط في العقل وإنما يجب أن يكون أيضا في الواقع. يبرر ذلك أنه إذا كان فقط في الذهن فهذا يعني أنه يمكن تصور كائنا آخر أعظم منه يكون موجودا ليس فقط في العقل وإنما أيضا موجود في الواقع بحيث يتجاوز التصور الموجود في العقل فقط في أنه موجود أيضا في العقل وفي الواقع. لأن تصور الكائن الذي لا يمكن أن نتصور أعظم منه إذا كان حقيقة كذلك؛ أي لا يمكن أن نتصور أعظم منه يجب أن يوجد في العقل وفي الواقع معا. بعد فهم واستيعاب فكرة أن الله هو "الكائن الذي لا يمكن تصور كائن أعظم منه" فإن وعي هذا هذه الفكرة يستوجب مباشرة التأكيد على أنه موجود في الذهن وموجود في الواقع.

**4-** **البرهان الانطولوجي بين المؤيدين والمعارضين:**

لم يعرف كتاب بروسلوجيون نفس التلقي الذي عرفه كتاب مونولوجيون، فإذا تم الاحتفاء بها الأخير وحضي بالقبول في أوساط معاصريه فإن كتاب بروسلوجيون سرعان ما تعرض للنقد حال صدوره وهذا ما نجده في موقف الراهب غونيلون، نقد تكرر في كل المراحل (العصور الوسطى، الحديثة والمعاصرة) وعند العديد من الفلاسفة على اختلاف مذاهبهم. هذا النقد نفسه ربما هو الذي يبرر لماذا سقط مونولوجيون في النسيان ولماذا استمر كتاب بروسلوجيون في التأثير على الفلاسفة اللاحقين. فلو أن أنسلم كتب فقط بروسلوجيون لكان كافيا ليضمن مكانته في تاريخ الفلسفة.

لقد أحدث برهان أنسلم على وجود الله جدلا واسعا بين الفلاسفة حيث انقسموا إلى معارضين أمثال غونيلون، هيوم، كانط، كيركيجارد وغيرهم، ومؤيدين أمثال: بونافينتورا، ديكارت، ليبنيتز، هيجل. من الذين تعرضوا إلى برهان أنسلم بالنقد نجد معاصره الراهب غونيلون Gaunilonالذي كتب مقالا بعنوان "دفاع عن الجاهل". في هذا المقال اعترض غونيلون على أنسلم اثباته لوجود الله في الواقع من خلال الانطلاق من الوجود في الفكر حيث اعتبر أن الوجود في الفكر لا يعني حتما الوجود في الواقع، لأنه يمكن تصور وجود العديد من الأفكار الخاطئة في الذهن ولكن في الواقع هي غير موجودة فهذه الافكار هي مجرد تصورات في الذهن ولا تملك وجودا واقعيا في الخارج. لهذا فالقول أن الله موجود في الواقع فقط لأنه موجود في الفكر فإن هذه البرهنة بدت غير مقنعة تماما لـ غونيلون. وقد قدم مثالا على ذلك في أنه يمكن تصور حقائق في غاية الجمال والروعة موجود في جزيرة بعيدة فهل هذا التصور حول هذه الحدائق يكفي لإثبات وجودها فعلا في الواقع.

يرد أنسلم على مقال غونيلون بمقال آخر يدافع فيه عن برهانه ضد انتقادات غونيلون حيث يوافق رأي غونيلون في أنه ليس كل فكرة يمكن أن يتصورها الإنسان في ذهنه لها وجود واقعي في الخارجي. إلا أن أنسلم يعتبر أن فكرة "الكائن الذي لا يمكن أن نتصور أعظم منه" تحمل في ذاتها الوجود في الفكر وفي الواقع. فالانتقال الضروري من الوجود في الذهن إلى الوجود في الواقع لا يصدق إلا في حالة واحدة فقط وهي حينما يتعلق الأمر بتصور: "الكائن الذي لا يمكن أن نتصور أعظم منه" لأن هذا التصور يستلزم بالضرورة الوجود في الواقع أي أن هذا التصور في حد ذاته ضروري أن يكون موجودا في الواقع لأنه تصور يتعلق بالكمال والكمال حتى يكون كمالا مطلقا ينبغي أن يكون موجودا في الواقع وإلا يصبح ناقصا. لهذا فالله موجود لأن الله نفسه هو الكمال المطلق.

أما توما الاكويني فقد رفض هذا البرهان لأنه يقوم على تصور أحادي لله، لأن تصورنا لله يختلف من شخص لآخر والقول أنه الكائن الذي لا يمكن تصور أعظم منه هو تصور لا يشترك فيه جميع الناس، بمعنى أن تصور الله ليس تصورا واضحا وضوحا قبليا عند كل فرد، هذا من جهة ومن جهة ثانية رفض توما الاكويني أيضا فكرة استنباط الوجود في الواقع من الوجود في الذهن، ففكرة الله قد تكون موجودة في الذهن ولكن ليس من الضرورة أن تكون موجودة في الواقع. وعلى الرغم من أن توما الاكويني فيلسوف عقلاني إلا أنه رفض الاعتراف ببرهان أنسلم لأنه ينطلق من الماهية ليثبت الوجود في حين توما الاكويني ينطلق في فلسفته من الوجود ليصل إلى الماهية. ويذهب في نقده أبعد من ذلك حيث يعتبر كل شيء في هذا الوجود صادر عن الله، ومنه كل شيء يصدر عن الله يكون أقل كمالا منه، ولو فهمنا هذه الفكرة فإننا نفهم أيضا أن تصورنا لله بأنه "الكائن الذي لا يمكن تصور أعظم منه" هو تصور صادر من الله ومنه فهو تصور أقل كمالا من الله ومنه فإن قول أن الله "هو ما لا يمكن تصور أعظم منه" في النهاية تصور لا يقبض على فكرة الكمال ذاتها ومنه على ماهية الله.

وبما أنه رفض البرهان الانطولوجي على وجود الله الذي يقوم على الاستنباط (استنباط الوجود من الماهية) فإنه يفضل البراهين التي تنطلق من الوجود إلى الماهية، وتبعا لذلك فإن البرهنة على الله تكون من خلال الاستقراء أي الانطلاق من الوجود وليس عن طريق الاستنباط الذي يستنبط وجوده الله من الفكر.

**كانط**: بدوره يرفض هذا الربط بين الوجود والتصور، يعتقد أن العقل الخالص الذي يتصور فكرة الله لا يمكن أن يؤكد على وجودها في الواقع. يفرق كانط بين الوجود والماهية، وليس بالضرورة كل ماهية لها وجود في الواقع فكين أن يكون لها وجود يقابلها في الواقع ويمكن أن لا يكون لها. وحتى نوضح ذلك يمكن نحدد علاقة الوجود بالماهية في أربعة اربعة احتمالات:

هناك شخص أمام مطعم يقدم وجبات ب200 دينار، هناك أربعة احتمالات:

1. اعتقد أني أملك 200 دينار واتناول وجبة وأدخل يدي في جيبي وبالفعل أجد 200 دينار. هنا في هذه الحالة يكون تصور وجود المال يتطابق مع وجوده في الجيب.
2. أعتقد بوجود 200 دينار وأتناول وجبة ولكن اكتشف أني نسيت المال في المنزل. وهنا نجد أن فكرة وجود المال في الجيب لا تتطابق مع وجوده الفعلي في الجيب.
3. لا أعتقد بوجود 200 دينار في الجيب ولا ادخل لتناول وجبة، ولكن فيما بعد أكتشف أن المال في الجيب. وهنا نجد أن فكرة عدم وجود المال في الجيب تقابلها وجود في الجيب.
4. لا أعتقد بوجود 200 دينار في الجيب وبالفعل لا أجدها في الجيب. وهنا نجد أن عدم وجود المال تؤكد التجربة.

من خلال هذه الأمثلة نفهم موقف كانط الذي يعتبر أن الفكرة لا يمكن الفصل في وجودها ذهنيا فقط أم في الذهن والواقع معا إلا من خلال التجربة، وحتى نتأكد من وجود ما يقابل المفهوم في الواقع فينبغي أن نتأكد منه عن طريق التجربة. ومنه فإن فكرة الله موجود في الذهن وممكنة الوجود، ولكن لا يمكن التأكد من وجودها في الواقع إلا من خلال التجربة، فالتجربة الحسية في نظر كانط هي الوحيدة التي تمككنا من التحقق في وجود الله.

أما المؤيدون فيمكن أن نذكر في العصور الوسطى القديس بونافينتورا الذي بدوره أخذ بالبرهان الانطولوجي الذي قدمه أنسلم. وأعتبر أن فكرة الكمال وضعها الله في النفس، ولولا نور الله لما تحققت فكرة الكامل في نفس الإنسان، وفكرة الكمال نفسها تتضمن وجودها الواقعي.

أما ديكارت بدوره تأثر ببرهان القديس أنسلم، حيث انطلق من فكرة الكمال وافترض أن أصل هذه الفكرة إما الوعي ذاته أو العالم الخارجي أو هي فطرية مغروسة في الذهن بفعل عامل متعال، ولما كانت النفس متناهية فهي ليس سبب وجودها والعالم الخارجي بدوره لا يتضمن الكمال، فبقي أن يكون مصدرها كائن آخر يتضمن الكمال نفسه وهذا الكائن هو الله، والله (الكمال) لا يوجد فقد كفكرة وإنما أيضا في الواقع لأن الكمال يضمن بالضرورة الوجود في الواقع وإلا كان ناقصا من شيء مهم وهو الوجود في الواقع. والفرق بين أنسلم وديكارت هو أن أنسلم أراد يؤسس برهانه على القاعدة الإيمانية أما ديكارت فأراد أن يؤسس برهانه على أسس عقلية.

هناك العديد من الفلاسفة الذين رفضوا برهان أنسلم وهناك العديد أيضا ممن تبنوه ولكن الفرق الجوهري بين المؤيدين والمعارضين هو أن المؤيدين يؤسسون براهينهم على التصور القبلي لفكرة الله والذي والرافضون يرون أن الأصح تأسيس البرهنة على وجود الله على ماهو بعدي.

إذا كانت جهود الفلاسفة السابقين منذ أرسطو الذي يعد أول من وضع براهين على وجود الله إلى غاية الفلسفة الحديثة، يؤكدون على امكانية العقل في البرهنة على الميتافيزيقا وعلى وجود الله، فإنه مع الفيلسوف التجريبي دافيد هيوم بدأ التشكيك في قدرة العقل في البرهنة على وجود الله، ليس فقط في البرهنة على وجوده وإنما أيضا في وجوده أصلا، وبذلك انهارت مع هيوم كل الميتافيزيقا القروسطية التي تزعم قدرة العقل على البرهنة على وجود الله. ومما عزز موقف فلاسفة الحداثة هو تأثير النزعة التجريبية العقلية التي أعلنت ميلاد العلم الحديث الذي هدم كل تفسيرات وتأويلات الكنيسة حول: الطبيعة والعالم والانسان.